



إنّ فعل القراءة كأساسٍ لبناء المعرفة والوعي والثقافة، هو ما توجّه به القرآن سبحانه وتعالى إلى رسوله في أوّل خطابٍ له بالوحي، وهو ما أراده القرآن لأُمَّتِه أن تكون: الأُمَّة القارئة والأُمَّة الواعية. وفي نظرة إلى الماضي الإسلامي تؤكّد هذا المعنى، فالمنهج القرآني المُفتدّج بـ(القرآن)، والاهتمام الذي أولاه الإسلام بالكتابة والقراءة ومحو الأُمّية، واضح وجليّ، من خلال عتق الأسارى لقاء التعليم، وهذه البذرة التغييرية، هي التي نقلت العرب من مجتمعٍ جليلٍ أُمّيين - وإن كان يتقن فنون الشعر -، إلى أُمَّة متعلّمة انتشرت فيها المكتبات العامّة، وحتى المقاهي الثقافية ودور الأوراق والترجمة التي كانت حركتها نشيطةً ومكافأها جزيلة.

كما وإنّ (القرآن) التي خاطب القرآن بها رسوله، هي ليست (القرآن) في الإطار الشرعي فقط، بل هي (القرآن) مقرونةً بمفاهيم متناهية وغير محدودة كالخلق، حيث قرن القرآن بين القراءة والأُفق الأوسع، أُفق الخلق الطبيعي (العقل والآفاق والسموات والأرض)، والخلق الذاتي (الروح، وعلم الإنسان ما لم يعلم). أراد القرآن لـ(القرآن) أن تكون نافذةً واسعةً للإنسان على الإنسان وعلى الطبيعة وعلى الخالق، لينهل من العلوم والتجارب والظواهر والأفكار، من علوم الناس على اختلافاتهم العقديّة والفلسفيّة والفكريّة، وغيرها من العلوم التي نحن مدعوّون لنقرأها.

ومن هنا، عندما نتحدّث عن كميةٍ أو إحصاءاتٍ عن عدد الساعات أو الدقائق التي يقرأ بها الفرد، فهذه على فرض صحّة الإحصائيات، مهمّة، لكنّ الأهمّ هو نوع القراءة وتنوّعها وعمقها وجدّيّتها، فإنّ قرأ المرء الساعات الطوال يوميّاً بما لا يُخرج العقل من حدود الدوائر الضيّقة التي يعيشها الإنسان، فهذه قراءة لا توصلك إلى الفضاءات الرحبة، بل المطلوب القراءة الموسعة التي يراد منها تكسير الحواجز وردم الهوّات وتوسعة الآفاق، والتعرّف إلى الآخر.